

ليس لدينا فلسفة ، لدينا جيل ممتاز من علماء ، الفلسفة الذين يقومون في حياتنا المعاصرة بدور ممتاز ، ولكنه دور يشبه ما قام به « المدرسون » من تلاميذ أرسطو في العصور الوسطى من العكوف على شرحه وتحليله دون أن يضيفوا جديداً إلى ما انتهى إليه « المعلم الأول » مؤمنين بأنه قد وضع النظرية النهائية للفكر الإنساني ، ولكننا نريد جيلاً من الفلاسفة الرواد يضع أصول نظرية جديدة تحقق ما نريده من نهضة فكرية في عصر النهضة العربية .

وفى ظنى أن السبب الأساسى الذى يكمن خلف هذا الموقف هو أننا فقدنا إيماننا بتراثنا الفكرى العريق الذى أضاء المسائل الوهاجة على امتداد تاريخنا الحضارى الطويل فى الوقت الذى كانت فيه الحضارة الأوربية لا تزال فى ضمير الغيب ، واندفعنا خلف الفكر الغربى المعاصر مؤمنين به ، انطلاقاً من إيماننا بالحضارة الغربية التى أنتجت هذا الفكر ، وبهذا وقفنا فى منتصف الطريق « كالمنبت لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى » أو كالنعامة ذهبت تطلب قرنين فعادت بلا أذنين !.

وإذن فما السبيل ؟

فى أن نجد الحل الصحيح للمعادلة الصعبة التى يتجاوزنا طرفاها فى حياتنا المعاصرة ، وهو حل لا يأتى إلا بالتوازن الدقيق بين « التراثية » من ناحية و« التقدمية » من ناحية أخرى ، وهو توازن لا نستطيع أن نحققه إلا على أرض ثابتة لا تهتز تحت أقدامنا من الفهم الواعى للأصول التى قام عليها منهجنا الفكرى الإسلامى .

ومن النظر المستبصر فى الأصول التى قام عليها المنهج الفكرى المعاصر الشرقى والغربى على السواء لنقوم بعملية انتخاب دقيقة يذهب معها الزيد جفاء ، ويبقى ما ينفع الناس ، ولننجو من « الرمى فى العماية » الذى حذرنا منه فيلسوفنا الكبير حجة الإسلام الغزالى . وهذه الأرض الثابتة التى تحقق لنا حركتنا فوقها هذا التوازن الدقيق هى نفسها الأرض التى تحرك فوقها جيل